المهارات اللغوية وأثرها في تلقين اللغة للطفل (كتاب لغتي في مكعب) نموذجا

أ.د. محمد حجازي، د. آمال العبادي

مدخـــل:

يُعدّ الكتاب في نظر الشعوب قديما وحديثا، هو الاتجاه الأكثر نفعا وقيمة في التحصيل العلمي وزيادة التثقيف والمحافظة على المعرفة وتنميتها؛ لذلك حرصت الأمم والشعوب منذ بدء الإنسان بالكتابة والقراءة وتعاطي أبجديات التسجيل... على العمل باستمرار ودون رتابة وانتظار، إلى أخذ عملية الكتابة وتدوين المعرفة؛ على محمل من الجد والكد والتعاون.

والإنسان في نظر علم النفس والاجتماع ومختلف العلوم الإنسانية؛ لا يمكن أن يجد صديقا ورفيقا وفيا أكثر من الكتاب لأنه خير جليس في الأنام... ولقد كان للكتاب البُعد التاريخي الذي ضمن مسيرة الإنسان وسجلها وحافظ عليها من كل زيف وتحريف وتغيير، حتى الكتاب السماوي الذي نزل على خير البشر، تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه، في قوله: «إِنَّا نحنُ نَزَّلنا الذِّكْرَ وإِنَّا لهُ لَحَافِظُونَ»(١) لذلك كان للكتاب القيمة التي لا تضاهيها ولا تماثلها قيمة أخرى، في مجالات الاختراع والإبداع... وكان لتطور الكتابة وانتظامها في تقنيات معرفية متطورة، الدور البارز في تنوع الكتاب وتعدد مشاربه وأضربه ومجالاته... وتلك من أهم الأمور التي سهّلت على القارئ التواصل والتماثُل والاتجاه نحو المعرفة ومزيد القراءة والكتابة.

إن منافع الكتاب إذا أردنا إحصاءها، لا نجد لها نظيرا ولا شبيها... كونها تتعدى صناعة الفكر إلى صناعة الإنسان واستحداث قيم الحضارة والنهضة لديه؛ إن على مستويات شخصيته كقارئ وباحث ومؤلف ومبدع... أو على مستويات التحصيل التي يُمَكّن بهاالآخر، في مجالات معارفه... لأن الكتاب لا جغرافية تحدُّه، ولا مانع يصده من الوصول للقارئ... لأن الثقافة هي ملك من الإنسان، إلى أخيه الإنسان في أصقاع الأرض ومشارب الدنيا... كونه يفتح نفسه على الأنا في تدفقات المعرفة، وعلى الآخر في التمكن من قراءة وفهم واستيعاب هذه المعرفة؛ وهذا ما جعل شأن الإنسان يرتفع بغية العلو والرفعة، من خلال سِنَي المثابرة والقراءة والدراسة والتحصيل... حتى أن المعرفة في حقيقة الأنا، هي السبيل المترجم لكل رغبات النفس وأداءاتالضمير والعقل، ومن ثم فإن الآخر هو أيضا يتجاوب مع حتمية الذات، ولا ينفصل عن التكوينات المُترجمة للمعرفة العامة، التي حصلت وتحصل بين ثقافة الأنا.. وثقافة الآخر... لأن المعرفة لا تكتمل إلا بسبل التواصل ومزيد التقنيات في إنتاج الفعل القراءاتي المتميز:«فالكتاب تعبير على معلومات وبمستويات تقتضي رؤية ملموسة تسردها أحداث الكتابة بغض النظر عن المضمون والتتابع اللغوي، وسائر أنماط الخطابات التواصلية، التي تعمق الثنائيات الأساسية كنظام الإشارات اللغوية والمعرفية، محل المواجهة في الكتابة والمقروئية».(٢)

والذي يدفع إلى الثراء المعرفي، وزيادة الاستقصاء في اتجاه محاورة العقل في التدبر، ومجادلة العاطفة في التصور والاختيارات..

إن الكتاب هو المرحلة الأولى والأخيرة في تاريخ وحاضر ومستقبل الناس، وهم يحاولون صناعة الذات باكتمال وسائل الرفه والدَّعَة والحياة الكريمة... في الوقت نفسه، المحافظة على اللسان وتوازنات الهُوية والدافع نحو إثبات قدرات الذات والثقافة والعادات والتقاليد والتوجهات... التي تصنع الفكر، ومن ثم صناعة العلم والمعرفة ومجالات التفكر والتدبر:«إن النشاط التعبيري (الكتابة) في الحدث الجمالي، لا يضاف إلى حدث

الانطباعات، وإنما يسعى إلى النضج الكتابي لجعله حدثا تعبيريا كتابيا، يضاف إلى الحدث الجمالي والمعرفي من حيث الشكل في الكتابة، والمضمون في المحتوى... كونه رسالة مضمونيةللأنا (الكاتب)، والآخر المتلقي (القارئ)... رغم صناعة الهوية المعرفية والجمالية الإبداعية».(٣)وتنوعت لذلك حقول المعرفة في الكتاب، حسب النظرة والتخصص والتوجه... ومقارعة الفكر بالفكر، والصناعة بالصناعة، والإبداع بالإبداع، والابتكار بالابتكار... وتلك مهمات لا يَقوَى عليها وعلى حملها، إلا الكتاب.. الذي يُعد مفصل العملية العلمية والتوجيهية الدالة نحو حقول المعرفة، وأبجديات التواصل مع المدرسة والتربية والجامعة: «إن مفردات العلم (الكتاب) والعقل والتجدد، والفكر، والإبداع، والخَلق، والرؤيا... هي الوحدات التكوينية التي تواجه معركة الكتاب والكتابة... والسكون والفضاء السرمدي».(٤)

× التعريف بالكتاب:

كتاب لغتي في مكعب، يسير وفق التوازنات المعرفية الدالة على التعامل مع أكثر من جهة علمية؛ فقد سعى صاحب الكتاب إلى التوفيق في إدراج هذه المُفَعِّلات المعرفية المتمثلة في الدَّارس والمُدرِّس والدَّرس التعليمي، والطرائق العلمية التقليديةوالحداثية.. التي تأخذ بيَدِ العملية العلمية نحو النجاح والتفوق... وذلك لكون الإدراكات التجاوبية الحاصلة في الحقول الدلالية للمعرفة، وخاصة عند الشعوب الراقية علما وحضارةً، تسعى إلى تكوين أجيال تأخذ من ماضيها ما يجعلها تتواصل أيضا مع الحاضر والمستقبل... في نطاق التجاذبات التي تؤلف موارد المعرفة، وتسعى إلى فتح آفاقها للأجيال ... خدمة للهدف العام الذي تسعى إليه المنظومات التربوية، في برامجها ومحتوياتها وأهدافها؛ حيث يُعد التَّعلُّم السبب الرئيس لنجاح الأمم وتفوقها على الشعوب الضعيفة والمقهورة.

إن كتاب لغتي في مكعب راعَى وبتوازن كبير، هذه الأهداف والمرامي، وجعل منها نِبْراسا للمعرفة والتفوق... فربط بين أجزاء العملية التعليمية، من خلال المربي، والمدرسة، ولغة الدراسة... وكيفية النهوض بها، وجعلها الانطلاقة الجادة نحو التفوق والرقي؛ من خلال المحافظة عليها، في نطاقها وقواعدها ومنشأ التشكيل والأداء فيها، والكيفيات الحداثية في نموها وتطورها؛ إذ اللغة كما عبر ابن جني في كتابه الخصائص تنمو وتتطور، حسب نمو أطراف العملية العلمية التي تباشرها وتعمل في نطاقاتها، تطورا وتحصيلا وعطاءً... لأن اللغة العربية في نظر صاحب الكتاب هي: «لغة انبثاق وتفجر، لغة وميض وبصيرة، مكونة امتدادا إنسانيا لسحر الطبيعة وأسرارها... ومفاتيح العلم وقواعده...».(٥) فكأن الكتاب في ثرائه ومدلولات نَهَمه في المعرفة، والعمل على تفهيم أهل الممارسة والعمل فيها وعليها، ينطبق عليهم قول أبي فراس الحمداني:

لقد زدت بالأيام والناس خبرة
وجربت حتى هذبتني التجارب(٦)

وعلماء اللغة حين يتحدثون عن تطورها والسلوكات المعرفية التي تنبثق عنها، يجعلون الروافد الأساسية لصناعتها، هي الأساس في التَّعْويل على استنهاض المعرفة ودروب التفكير فيها، كون الدلالات المعرفية حين التطبيق؛ هي الأساس الذي يحرك المعرفة في أطرها ومستوياتها الدلالية، والقابلة للتطبيق والتطور كما جاء في الكتاب، الذي وَعَى كل هذه المفاتيح والمضامين والنظريات... وصقلها بالقدر الذي يفتح آفاقا واسعة أمام المربي في الروضة والكُتَّاب والمدرسة... حتى يُوصِل رسالة اللغة إلى أبعد مقام ورتبة يُمكن أن يصلها، بعيدا عن الارتجالية والخطاب الشوفيني الارتجالي الذي يتناوبه البعض حين المناسبات والظروف والأحوال الطارئة.

إن الكتاب يرسخ لثقافة التلقين والفهم والعطاء... وهذا ما تحتاجه اللغة العربية من الأقلام الجادة في ساحتها ومحيطها العلمي والأكاديمي، الذي يهدف إلى وضع لبنات وتوازنات مع الأزمنة السابقة والحاضرة واللاحقة، وخصوصا مع لغة كلغة القرآن الكريمالذي:« لَّا يَأْتِيهَ الباطلُ مِن بينِ يَدِيْه ولَا منْ خَلْفِه».(٧)وهذا ما يسعى كتاب: لغتي في مكعب، إلى إظهاره وتكريسه والعمل على توجيه الأجيال نحوه... بعثا للمعرفة، وتسهيلا للعلم بأدواته المتجددة والحداثية، حسب قواعد العلم والمنهجية والتحقيق والتلقين والإفهام...

اللغة في المفهوم والمسار:

يتحدد مفهوم اللغة وفق التوازنات المعرفية، التي تؤديها في الأنماط المجتمعية المُعاشة؛ وذلك لكونها لسان حال الناس، وهم يسايرون حياتهم ويصنعون مستقبلهم سلبا أو إيجابا. فإن أحسنوا إدارة حياتهم، وفَقهوا حقيقة وجودهم واستخلافهم في الأرض، وحققوا هدف ونماء الحياة لديهم، جاء وصفهم بالتالي وبمثل هذه المقاييس، على أنهم مستخلفون في الأرض حقا: «يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرضِ فاحْكُم بينَ النَّاسِ بالحَقِّ».(٨)

إن العلماء حين يتحدثون عن اللغة، يؤكدون مدى نهضة الشعوب والحضارات القائمة عندهم؛ فإن كانت مستويات الحضارة قائمة بالتفكير والعلم والعمل الجاد المتواصل... فإن اللغة تَحُوز على الريادة والمقدمة في مختلف المجالاتوالأنشطة... كما كان عليه حالاللغة العربية، حين كانت الحضارة العربية الإسلامية هي رائدة المعرفة والعلم عند شعوب الأرض.

لقد تأثرت الكثير من اللغات في العالم باللسان العربي، لكونه الناطق عن الحال والمآل والحضارة والنهضة، والتقنيات التي تقوم على فرضية التحصيل والتمكّن من المعرفة.

إن اللغة المالطية (٩) مثلا تحوز في كلماتها على أكثر من ٥٠٪ من المفردات العربية، لا بل إن الكثير من الكلمات هي في الأساس لغة عربية متداولة في شمال إفريقيا.(١٠)

وقد أحصى علماء اللغة عدد الجذور من اللغة العربية في اللغة الإسبانية؛ بأنها أكثر من عشرة آلاف جذر لغوي. وهكذا الحال وبدرجة أقل ينطبق على اللغة الفرنسية والإنجليزية... الخ.(١١)والأمر نفسه ينطبق على اللغات الآسيوية التي تزخر بالكثير من المفردات العربية، وبخاصة المفردات التي لها صلة وثيقة بالدين الإسلامي الحنيف وبطقوسه المعتمدة في التشريع والعبادات.وحين ضعف أهل اللغة العربية وانكمشوا على أنفسهم؛ بدأت لغتهم تنحو بمصيرهم المتهالك؛ لكون اللغة مرنة تتقبل أوضاع المجتمع وتنطق بحاله، حيث تقوى بقوة أهلها وتضعف بضعفهم. وتلك سنة الوجود.(١٢)ولولا القرآن الكريم الذي حفظ لغة الوحي (العربية)، لكان مصيرها بعد الاستعمار الذي طمس هويات الشعوب العربية والإسلامية، وأبعد اللسان العربي من فصول التداول المعرفي والعلمي؛ لكانت النتيجة مأساوية أكثر مما هي عليه الآن؟ لأن الشعوب تضعف وتستكين وتهوي معها بقية الحاجات الأخرى، وأولاها اللغة لسان العلم والتداول والمعرفة، حين السقوط الحضاري والتخاذل العَقَدي:«لأن القارئ المتميز، لا يتخلى عن شخصيته وذاكرته اللغوية مطلقا، لأنها هي عمليات الإدراك والتفسير، ومحاولة صنع الذات والتميز من خلالها، علما ومعرفة وتحصيلا... وصناعة للذات وللحضارة والنهوض المعرفي».(١٣)

الكتاب وآفاق المعرفة والتحصيل:

يتضمن الكتاب نظرة تجريبية من خلال ممارسة الدكتورة آمال العبادي لمهمة التعليم والإشراف عليه طوال سنوات من الممارسة والأداء الإداري المتميز، والذي نتجت عنه مجموعة من النتائج... كان لها الأثر الأعمق في الكتاب؛ الذي يعد إضافة متميزة للحقل المعرفي وللتوجهات التربوية المنهجية التي لا يستغني عنها مُدرس ولا مربي ولا وليّ الأمر.

لقد كان لهذا الكتاب دورا متميزا، في الكيفية التي بواسطتها يتم تعلم اللغة العربية بالكيفيات المُمَنهجة للوصول إلى تحقيق الأهداف التربوية، ومن ثم غرس حب اللغة العربية في النفوس والضمائر.. والنهوض بها إلى درجات بلغتها بعض اللغات في العالم المتمدن. ولذلك حرص الكتاب في مضامينه العلمية على أهداف ونشاطات وتعريفات عدة، كالهدف من المعرفة مثلا... إذ جاء في الكتاب على: أن المعرفة تتحقق من خلال المقاصد والغايات. إذ نقرأ في الكتاب عن هذا الهدف مثلا قول صاحبة الكتاب:«أما هدف المعرفة، مقصودا لذاته، إنما يأتي نتيجة لمختلف النشاطات التي يمارسها الطفل وبالقدر الذي يسمح له بمزاولة هذا النشاط، بما يتناسب مع استعداد الطفل وقدراته بعيدا عن الرتابة أو القيود بالنظام الصفي المتبع...».حيث يسير هذا البرنامج، وفق نظريات حديثة في التعليم (لمرحلة رياض الأطفال) كما يراعي برنامج

لغتي في مكمب، البيئة والمجتمع الذي تم التطبيق فيه من حيث طريقة التعليم والألعاب والتجهيزات...

لقد نظرت الكاتبة إلى قوامة السنة التعليمية من حيث المردود العلمي، وقسَّمته إلى أقسام هي في الأساس تعتمد على النظريات البيداغوجية التفهيميةوالتلقينية العالمية، ذات المغزى والبُعد المعرفي المبني على النظريات والآفاق المستقبلية العلمية: «لا تعتبر المدرسة الحديثة بمفهومها العام في نظر علماء التربية المعاصرين نطاقا لتلقين المعارف ونقل المعلومات، بقدر ما يعتبر صورة مصغرة مكثفة للحياة الاجتماعية المنظمة؟ التي يكتسب الناشئ من خلال معايشته لها؛ المعارف والخبرات والعادات التربوية عبر إيصاله وتفاعله مع عناصر وفئات اجتماعية ذات خبرات متنوعة ومتفاوتة». (١٤)

وبالتالي جاء التقسيم على النحو التالي، مراعاة لظرف الفهم والتلقين الجيد، حيث هذه التقسيمات تساهم في الرفع من القدرة على استيعاب اللغة وحفظ قواعدها:

١- أثناء تسجيل الطفل في المدرسة.
٢- بعد تسجيل الطفل في المدرسة.
٣- في بداية العام الدراسي.
٤- وسط العام الدراسي.
٥- نهاية العام الدراسي.

إن هذه الأزمنة كفيلة بتقديم الوقت المناسب للطفل، حتى يتسنى له التواصل مع المراحل الأخرى، فمثلا رؤية التلميذ للمدرسة أثناء تسجيل ولي أمره له، دلالة الاستعداد النفسي لتلقي مثل هذه السلوكات الخارجة عن مألوف البيت والأسرة؛ وأخذه لبطاقة التسجيل مع صورته المتضمنة كتابة الاسم الكامل والعنوان وغيرها من المعلومات، جديرة به أن يُسأل عنها وعن ما هو مكتوب فيها والمعاني التي تتضمنها أيضا (ويعني بها السلوكات المعرفية والعلمية). وأيضا في بداية العام الدراسي حين يتلقى المعارف حول لغته العربية، التي هي الأساس في خدمة شخصيته المستقبلية. كل ذلك يُنمي فيه حاسة التذوق والتفوق... بمعنى التحصيل أكثر والمعرفة بشكل أدق وأشمل. وهذا يظهر أكثر في نهاية العام الدراسي حين يتحصل على المجموع بتفوق مع أخذ التقديرات والتهاني، خاصة إن كان من المجتهدين المجدين، وباستطاعته استخدام وسائل التطور السريع: «لقد أدى التطور السريع في مجال استخدام الآلات العالية المستوى في الأداء، مثل الحاسبات الإلكترونية والتحديث المستمر للأجهزة والآلات، إلى زيادة الاعتماد على الدول المتقدمة صناعيا، فإذا بالقيم الغربية تغزو قطاعات واسعة من المجتمع والأنشطة الاجتماعية والتربوية، وتصبح الأهداف والمثل الغربية طموحات ومحركات تدفع الإنسان العربي إلى تحقيقها أو تقليدها...». (١٥)

تلك محفزات دالة على التحرك المعرفي، نحو بوادر صناعة الإنسان الفاهم والمتنامي حول قضايا المجتمع وخصائصه المعرفية الدالة من أثر الاحتكاك بالآخر: «فتغلغل الثقافة الغربية في الفكر والعقل العربي، اقتطع حيزا من الذهن لصالحها، وترتب على ذلك مزاحمة المعلومات لدى التلميذ والطالب... تلك التي يتلقاها في المؤسسة التعليمية؛ فأثَّر على درجة استيعابه، بل رجَّح الكفة لصالح الوافد على حساب القائم...». (١٦)

وذلك هو التفاعل المنطقي، الذي أوجب حتمية التأثير والتأثر الذي يدرسه الكتاب.

بناء المهارات اللغوية:

لقد اهتمت الباحثة بمجموع العناصر التي تشكل المنظومة التربوية، القائمة على أسس منهجية تساعد الطفل والمربية والأسرة في آن واحد. وهذه التوجيهات تصب أكثر في اتجاه المعلمة التي هي مصدر الاستثمار في العملية التعليمية؛ إذ أن صورتها وأداءها وجهدها ينصبون جميعا في صناعة طفل الغد بعقله المستنير ولسانه الفصيح المتميز. وهذه التعليمات جاءت في الكتاب على النحو التالي:

(تهتم المعلمة بطريقة استقبال الأطفال، كل على حسب ميوله.، وذلك من خلال الاستمارة التي تعبأ من قبل الأم، واستمارة خاصة بالطفل (موجودة في كتاب المعلم)، وهي عبارة عن استمارة بصور مستوحاة من بيئة الطفل؛ يضع إشارته على ما يحب وما يفضل أكثر... لغرس حب المدرسة والتعليم ووضعهما في إطار إيجابي. من خلال:

الألعاب التي تكون في بداية العام الدراسي.

- ركن التفكير والتدبر.

• ركن القراءة والتصفح.

لقد وضحت الكاتبة قدرة الطفل على الاكتساب المهاراتي للغة من خلال التدبر والتفكر، في ما هو مُتَضَمَّن في توجيهات المعلمة من رسم للحروف والكلمات والتراكيب ومعانيها، مع إضافة الرسومات التي تُعد أكبر شاهد يميز الأصل الذي من أجله وضعت الصورة وتكاملت المعاني. جاء في الكتاب ما يدل على التدبير النموذجي للتوجيهات العلمية في الأطوار الأولى طبعا:

ركن التفكر والتدبر في مخلوقات الله:

التفكر والتدبر في مخلوقات الله، يساهم في تنمية حب الأطفال لله سبحانه وتعالى؛ وينمي معرفة الذات عند كل طفل مع معرفة خَلْق الله تعالى، وما هي النعم التي رزقك بها؟ وكيف تشكر الله وترضى بما قسّمه لك. ومن خلال أسماء الله يتعرف الأطفال على معنى الاسم، وكيف ندعو الله بأسمائه؟ وما هي صفات الله؟ ركن ينمي حب الله بطرق سلسة ومرنة للأطفال.

المهارية العلمية وملاحظات التعلم:

لقد وجهت الباحثة كتاب تعليم الطفل في مراحله الأولى إلى جملة من المتطلبات، كان للأثر النظري فيها قسطا من الديباجة حول المفاهيم والطرائق والتصورات لمختلف الكُتَّاب وأصحاب النظريات البيداغوجية، في كيفيات التنظير للأطفال في مراحلهم الأولى. وجاء هذا التنظير على النحو التالي:

إن دراسة الكيفية المهارية للطفل، تعني الوصول إلى منابع المعرفة اليقينية لديه والمُتخيَّلة حسب قدراته الخيالية، التي لا تعدو أن تكون نِتاجَ تأملات بسيطة، بساطة تفكيره وأحلامه وأمانيه وأفكاره...

إنه عالم يُحوِّل المجهول إلى مُدرك، من خلال الدراسات الاستيعابية التي تُفهم بعض جوانب حياته، وهي الغامضة أصلا والبسيطة مظهرا ومعرفة؟ وبالتالي، هو الذي يتحول إلى وعاء يتقبل الكثير... والكثير... لكونه صفحة بيضاء –إن جاز قبول هذه النظرية- تُكتب فيها، وتُصقل منها تجارب الحياة بأبعادها المختلفة. لذلك فإن الحديث النبوي الشريف، حين يتحدث عن البعد الديني لديه، يدرك فطرة الله التي فطر عليها الإنسان، إذهو: أي الطفل (أبواه يُهودانه أو يُمجسانه أو يُنصّرانه). وفطرته بطبيعة الحال، هي فطرة التوحيد التي كانت منذ البدء –بدء الخليقة- إلى يوم الناس... وقيامهم لرب العالمين.

أولا:- إن الخبرة التي سار عليها البرنامج، جاءت نتيجة المتابعة لعديد المدارس والمشاهدة لأطوار التلاميذ في صفوف الحضانة، وهم يمارسون حياتهم العلمية الأولى، وكيف يتعاملون مع القلم والكراسة والكتاب... بمعنى كيف يتساوقون مع مهارات الاكتساب والأخذ والاستفادة والعطاء؟.

ثانيا:- وضع وظائف الدماغ والاستراتيجيات التعليمية، محل الدراسة والمتابعة من خلال الوظائف المعرفية والسلوكية، التي تظهر على الطفل في هذه المرحلة الجِد مبكرة.

ثالثا:- ما يتعلق بالمفهومية التعليمية والتعريفية لتطبيق النظريات المعاصرة، التي سعت وتسعى إلى إيجاد نمط سلوكي ومعرفي، يحدد الهدف التربوي للحضانة وللمدرسة وللمربين، والمشرف التربوي والإداريين والجهات الرسمية.

رابعا:-محاولة الوصول بالعملية التعليمية في هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل، إلى مبتغاها الأساسي في الكيفيات البديلة، الأكثر تأهيلا ومعرفة في حياة الطفل في الحضانة والمدرسة في بواكيرها الأولى، التي تعد النموذج الهادف والتربوي لكل المنظومات التعليمية المتحضرة والمتقدمة في الآن نفسه.

خامسا:- الوصول بالروضة والقائمين عليها، إلى مرحلة تطوير البرامج والأهداف والمقاصد والغايات... حتى يحصل النفع الذي تسعى إليه الوصاية وأهل التربية والتعليم... للوصول إلى تحقيق رغبة التواصل العلمي الهادف، الذي ينتقل بالأطفال موازاة مع التلقي إلى التفكير والاكتساب لمهارات عالية في الجودة والأداء... ومنها التحصيل اللغوي الجيد.

ومن ضمن القضايا التي عرضها الكتاب لخدمة الأهداف التربوية، أن الدراسة ركزت على نقاط أساسية، كان للمشهد التجريبي فيها، أكبر الأثر على

دلالات المنظومة التعليمية الأولى؛ لأن نظام الجودة الشاملة الذي هو التساوي والتماثل... يعني الدعوة إلى فتح آفاق دلالية تأخذ بأنظمة التعليم العالمية، مع الحرص على فتح نوافذ أكبر ملاءمة ودربة وممارسة... في واقع الأصالة اعتقادا، وواقع الفهم والمعرفة تطلعا وإدراكا.

لقد هدفت الدراسة إلى معطيات علمية من أجل التحصيل وزيادة المعرفة، طبعا معرفة اللغة التي ينتسب إليها التلميذ، لسانا وعقيدةً وأصالةً... ومن المألوف في منظوماتنا التربوية العربية، أن اللغة العربية هي الأساس الذي تتبني عليه البرامج التعليمية، والأهداف التربوية عامة.

جاء في الكتاب بنظرة فاحصة دقيقة، قول الكاتبة وهي تُنظِّر للأهداف المتوخاة قولها:

(إن البرامج التعليمية في ظل الجودة، تهدف إلى تحسين التعليم وتوسيع قاعدة تنمية قدرة التفكير للمتعلمين، بحيث يتم تطبيق الجودة ضمن البرنامج المقترح علميا.إنه واقع الطفل والحضانة والمدرسة والمعلم والمربي والجهات الوصية الفاعلة... أنظمة تحتكم إلى قواعد انضباطية، لتسهيل عملية القراءة والتحصيل للطفل رجل الغد المأمول).

لقد طرح الكتاب ما يشبه الوصايا، للمربي والمدرسة والأسرة والجهات الرسمية، وذلك لوضع قواعد ومنهجيات لاستدراك المقومات العلمية، وتصنيفها إلى ما يلي:

عناصر العملية التعليمية:

أ- المناهج.

ب- المعلم.

ج- الطاقم المدرسي.

د- البيئة الصافية، (الإضاءة، التهوية، الرائحة، الأدوات المدرسية).

كماتجهت الباحثة إلى المعلمة وهي الأساس في المعرفة عامة واللغوية خاصة، ونظرت لها بما يكمل دورها الرئيس والأساس، في كونها المفتاح للنهوض العلمي الذي يتأسس أساسا على اللغة العربية، في منظوماتنا التربوية الهادفة إلى تكوين المُكَوِّن أولا، ثم الطفل ثانيا... مع مراعاة الجوانب النظرية والتطبيقية لكل هذه المراحل خدمة للغة العربية وكيفية الوصول إلى معرفتها وهضم قواعدها وتصريفاتها وأساليبها.

جاء في الكتاب عن دور المعلمة أيضا ما يلي:

دور المعلمة:

تقوم مربية (معلمة) رياض الأطفال بأدوار عديدة... أولها: مخافة الله، والتوكل عليه... ثم التطوير والاطلاع المستمر بكل ما هو جديد في ساحة التعليم لمرحلة رياض الأطفال؛ لأنها تؤدي أدوارا مهمة وكثيرة ومتنوعة ومتعددة... تتطلب مهارات فنية مختلفة يصعب تحديدها وتفصيلها، فهي مسؤولة عن كل ما يتعلمه الطفل، إلى جانب مهمة التطلع والتوجيه لكل ما له علاقة بنمو كل طفل من أطفالها في مرحلة حساسة من حياتهم. وتبدأ هذه المرحلة بالتخطيط وتستمر بالتنفيذ وتنتهي بالتقويم والمراجعة. كما أن للمعلمة دورا رئيسا في تطوير العملية التربوية، لأنها متواجدة دائما مع الأطفال. ويمكن تعداد أدوار معلمة الروضة فيما يلي:

١. دور معلمة الروضة كبديلة للأم:
إن دور معلمة الروضة لا يقتصر على التدريس وتلقين المعلومات للأطفال، بل إن لها أدوارا ذات وجوه وخصائص متعددة، فهي بديلة للأم من حيث التعامل مع أطفال تركوا أمهاتهم ومنازلهم لأول مرة..

٢. دور المعلمة كخبيرة في التربية والتعليم: إن دورها يجب أن يكون دور المعلمة الخبيرة في فن التدريس، حيث أنها تتعامل مع أفراد يحتاجون إلى الكثير من الصبر والتنظيم والتوجيه والإلمام بطرق التدريس الحديث.

٣. دور المعلمة كممثلة لقيم المجتمع (القدوة): وعليها مهمة تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية مرتبطة بقيم وتقاليد المجتمع، الذي يعيشون فيه. وتستخدم الأساليب المناسبة لإكساب السلوك المقبول اجتماعيا. ولا تنسى دورها كقدوة في تعاليم الدين وغرس القيم في نفوس الأطفال، وتلقينهم لغة دينهم وحضارتهم.

٤. دور معلمة الروضة كمعلمة ومتعلمة في الآن نفسه: على معلمة الروضة أن تطلع على كل ما هو جديد في مجال التربية وعلم النفس،

وأن تجدد من ثقافتها وتطور من قدراتها متبعة الأساليب التربوية الحديثة وتبادل الخبرات مع زميلاتها.

٥. معلمة الروضة كمرشدة وموجهة نفسية وتربوية: تقوم معلمة الروضة بتحديد قدرات الأطفال واهتماماتهم وميولهم الدينية واللغوية، من خلال معرفتها بخصائص نموهم واطلاعها الدائم بكل ما هو جديد في ساحة التعليم وتوجه طاقاتهم.

ومن الطبيعي أن تكون الوسيلة التعليمية واحدة من أهم الأهداف التي تشكل القاعدة الأساسية، لولي الأمر وللتلميذ وللمعلم وللوسائل المتعددة التي تقوم على زيادة الوظائف التي تربي في الطفل الأنموذج الناجح في اللسان المعرفي (اللغة العربية) واللسان الفكري (التواصل مع التطورات العلمية والتكنولوجية بتميز واقتدار).

جاء في الكتاب العنوان التالي حول الوسيلة التعليمية:

الوسائل التعليمية ودورها في الوظائف التثقيفية:

تُعرف الوسائل التعليمية على أنها أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم،وقد تدرج المربون في تسمية الوسائل التعليمية، فكان لها أسماء متعددة منها:

- وسائل الإيضاح.
- الوسائل البصرية: وهي وسائل متعددة ومتنوعة، حسب التقنيات المجهزة للعملية وفق البصر والتماثل.
- الوسائل السمعية: وهي نطاقات معرفية، تساعد على عملية الإدراك والاكتشاف.
- الوسائل المعنية: وهي وسائل التحضير والتجهيز، وفق متطلبات المرحلة والدروس.
- الوسائل التعليمية: وهي وسائل تجمع بين المدرس (المربي)، وبين حاجات الدراسة الوظيفية، من مواد، وإضاءة، وتصوير... الخ.

وأحدث تسمية لها: تكنولوجيا التعليم، التي تعني علم تطبيق المعرفة في الأغراض العلمية بطريقة منظمة، وهي بمعناها الشامل تضم جميع الطرق والأدوات والأجهزة والتنظيمات المستخدمة في نظام تعليمي بغرض تحقيق أهداف معرفية محددة.

لقد اهتم كتاب(لغتي في مكعب) بتوفير الوسائل المناسبة للتعليم بطرق إبداعية محفزة لوظائف الدماغ والمساعدة على رفع مستوى تحصيل الأطفال، من خلال الوسائل الحركية وغيرها..من مثل تعلم اللغة، ومجالات استخدام البدايات الأولى لتقنيات ومهارات التواصل الحديثة.

الوسائل التعليمية وعملية التعلم:

يمكن للوسائل التعليمية أن تؤدي دورا هاما في النظام التعليمي باكتساب مهارات لغوية محفزة؛ بالرغم من أن الدور أكثر وضوحا في المجتمعات التي نشأ فيها هذا العلم، كما يدل على ذلك النمو المفاهيمي للمجال من جهة، والمساهمات العديدة لتقنية التعليم في برامج التعليم والتدريب من جهة أخرى، كما تشير إلى ذلك أدبيات المجال العلمي والتعلمي، إلا أن هذا الدور في مجتمعاتنا العربية عموما؛ لا يتعدى الاستخدام التقليدي لبعض الوسائل –إن وجدت–دون التأثير المباشر في عملية التعلم وافتقار هذا الاستخدام للأسلوب النظامي، الذي يؤكد عليه المفهوم المعاصر لتقنية التعلم.

ويمكن أن نلخص الدور الذي تؤديه الوسائل التعليمية في تحسين عملية التعليم والتعلم، وهذا ما أكد الكتاب على أهميته، ورأى أن الوصول إلى النتائج المرجوة تكمن في مستويات التواصل مع الآخرين للتأثير والتأثر، لأن العلم لا حدود له ولا جغرافية تمنع نسبة التواصل معه وإليه؛ لأن الكون جغرافيا متساوٍ ومتناظر ومتعاون في المنظومات التربوية والتعليمية، إلا أنه يجب القيام على أمور عدة... على رأس الأولويات فيها المحافظة على اللغة الأم وتلقينها للأجيال بما يناسب عملية التوصيل والتواصل، مع التشبث بالقيم والمبادئ التي هي نتاج العقيدة السمحة، التي تدعو إلى العلم والمعرفة والتطلع إلى الآفاق البعيدة فيه... ولا يمكن حصول ذلك إلا بفقه معاني العلم والنتائج والمردود الذي تحصل عليه الشعوب من خلاله. وهذا هدف رئيس من أهداف كتاب: لغتي في مكعب الذي يُعد إضافة متميزة في حقل المنهجيات العلمية التي تُدرِّب وتوجِّه

القارئ والمعلم على حد سواء.

الخلاصة والنتائج:

مما يجب النظر إليه بتمعن وإدراك وفهم، أن العملية التعليمية تحتاج إلى توازنات تحضيرية في مجالات البرمجة والدراسة والاختبارات... فلا يمكن الوصول إلى نتائج إيجابية؛ إلا بعد النجاح في التحضير والتهيئةلمعتركالدراسة والتحصيل العلمي الإيجابي... وفق نظريات المعرفة العالمية. فالمربي يحتاج إلى الجو الذي يلائمه لإيصال المعرفة، وتطبيق النظريات الحديثة في ذلك، والتلميذ يحتاج إلى منظومة من الوسائل، حتى يصل بفكره الصغير إلى الاستخلاص والفهم والتمكن من اللغة –لغة الدراسة– التي تبقى أحد الركائز لشخصيته وعقله وفكره بصورة جلية وواضحة؛ وتلك قيمة في صناعة الشخصية والعمل على نموها وتربيتها وفق مفاهيم العقيدة، وأصالة الفكر والتميز والتحضر.. وهذه هي المفارقات النظامية التي يجب أن تجتمع حتى تتم المعرفة، وينمو التواصل مع الذات ومع الآخر: «... يتحدد بالمغايرة التي تمكن من معرفة ما لا يعرف الآخرون... أو على الأقل يتساوى معهم في المعرفة والإدراك... ويمتلك القدرة التي يستطيع من خلالها أن يغير حركة المجموع ومواقف الأفراد». (١٧)

من النتائج التي يمكن استخلاصها من الكتاب ما يلي:

١- أهمية اللغة تندرج ضمن السياق العام للمجتمع.

٢- التواصل المعرفي بين أفراد المجتمع، وغيرهم من المجتمعات الأخرى لا يتأتى إلا بالتركيز على مقوم اللغة، والانفتاح بعد ذلك على اللغات الأخرى.

٣- يجب تطوير المنظومة التربوية لتتبوأ اللغة العربية مكانتها التي تستحقها قولا وفعلا.

٤- يجب الاحتكاك بالمنظومات التربوية العالمية، والعمل على الاستفادة منها في ما يخدم الصالح العام للمنظومة التربوية والتعليمية.

٥- استخدام الوسائل التكنولوجية والمعلوماتية للنهوض باللغة العربية إلى مستوى العالمية.

٦- تحسيس المواطن العربي وخاصة الناشئة، بأهمية لغة الضاد التي هي الأساس للكثير من غير الناطقين بها.

٧- استثمار الكتاب وتعميمه على دور الحضانة والمدارس الأساسية (الابتدائية)، للاستفادة من توجيهاته وتنظيراته المفيدة حتما.

٨- التعاون الاجتماعي في المُتداول اللغوي الفصيح، يكسب الناشئة مجالات التمكن من اللغة العربية السليمة اللسان، والقادرة على مسايرة تكنولوجيا العصر.

٩- وضع وسائل للتحفيز، وآليات لدفع الناشئة نحو حب اللغة العربية، وذلك بتوصيل رسالة مفادها: أنها لغة العلم والعمل.

قائمة المصادر والمراجع

١- سورة الحجر–الآية ٩

٢- بتصرف/ جورج مولينيه– الأسلوبية- تر/ د. بسام بركة –مجد- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت- ط١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م- ص ١٦-١٧

٣- بتصرف/ د. صدار نور الدين البنيوية التكوينية- مكتبة الرشاد- الجزائر- ط١- ١٤٣٤ه-٢٠١٣م- ص ٢٠-٢١.

٤- بتصرف/ رفيق سليطين –الكتابة السالبة –دار الحوار اللاذقية – سوريا –ط١ -٢٠٠٦- ص ٦٣

٥- بتصرف/ د. رزاق الطيار –لغة الشعر في هاشميات الكميت – مكتبة الروضة الحيدريةالعراق- ص٥

٦- ديوان أبي فراس الحمداني –شرح/ علي العسيلي –مؤسسة النور بيروت –ط١ -١٤١٨ه-١٩٩٧م –ص٢٥

٧- سورة فصلت-الآية ٤٢

٨- سورة ص -الآية ٢٦

٩- جزيرة مالطة، دولة تقع في عرض البحر الأبيض المتوسط، عاصمتها (فاليتا) وهي ضمن القارة الأوروبية، تعتمد على السياحة في برامجها الاقتصادية، وهي مقابلة للشواطئ الليبية.

١٠- ينظر/ أ. د-محمد حجازي – الأصول العربية للغة الأمازيغية –المؤتمر الدولي الأول –جامعة العلوم والتكنولوجيا –صنعاء – اليمن ٢٠١٢ –ص ٦

١١- المرجع نفسه –ص ٦
١٢- ينظر/ د. آمال العبادي –كتاب لغتي في مكعب –دار الينابيع الجزائر –ط٢٠١٣ –ص ٣
١٣- بتصرف/ ناظم عودة- نقص الصورة- المؤسسة العربية للدراسات –بيروت- ط١-٢٠٠٣- ص ٢٤
١٤- أحمد محمد المعتوق- الحصيلة اللغوية -عالم المعرفة- المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت- عدد ٢١٢-١٩٩٦- ص ١٥٦
١٥- د. علي الحوات- قضايا في علم الاجتماع التربوي (دراسات في المجتمع العربي)- الجماهيرية للنشر والتوزيع ليبيا- ط١٩٨٩م- ص ١٦٤
١٦- المرجع نفسه –ص ١٦٤
١٧- بتصرف/ د. جابر عصفور -غواية التراث –كتابالعربي– وزارة الإعلام الكويت–ط١ -٢٠٠٥- ص ١٤